

اجتهادات متوسطون.. ومتهافتون

لا يصح أن نعد من يتصفحون كتابًا إلكترونيًا عبر الشبكة العنكبوتية ضمن قارئ الكتب عندما نحاول قياس معدلات القراءة. هذا ما يراه الصديق د. سعد الخالدي في تعليقه على اجتهاد 31 يناير (الورق أم التكنولوجيا). وقد تعدد استخدام كلمة تصفح لأن ما يحدث في هذه الحالة أقرب إلى تقليب صفحات الكتاب الإلكتروني على عجل، أو مطالعتها مطالعة سريعة، وربما الوقوف أمام فصل أو بضع صفحات. وهذا تقدير منطقي ينسجم مع طبيعة التعامل مع الإنترنت. ولكن في غياب إحصاء يصعب إجراؤه لأعداد من يطلعون على كتب إلكترونية في مختلف مواقعها، بخلاف من يشترون كتبًا ورقية عبر الإنترنت، لا بد من افتراض أن هناك من يقرأون ولا يكتفون بالتصفح. وبغض النظر عن نسبتهم إلى من يتصفحون الكتب، فالقراءة الإلكترونية تختلف عن نظيرتها الورقية. فالغالب في القراءة الإلكترونية أنها سريعة وسطحية. وهذا ما خلصت إليه دراسات عدة أجريت في هذا المجال، وتضمن بعضها مقارنات بين قراءة كتاب إلكترونيًا وورقيًا. ومن تلك المقارنات ما اعتمد على مطالبة عدد من الطلاب بتلخيص كتاب معين على أن يقرأه نصفهم ورقياً، والنصف الثاني إلكترونياً. وكانت النتيجة أن من قرأوه ورقياً قدّموا ملخصات أفضل ممن اطلعوا على نسخته الإلكترونية. وحدث مثل ذلك عند مطالبة عدد من الطلاب بكتابة بحثٍ اعتماداً

على مراجع ورقية، ومثلهم بالاعتماد على محرك البحث جوجل. فكانت البحوث المعتمدة على مراجع ورقية أقوى وأعمق. وهذا منطقي أيضاً، لأن قراءة معظم الكتب تتطلب تركيزاً وانتباهاً وتمعنًا في المعاني والكلمات، الأمر الذي يصعب توافره عند قراءتها إلكترونياً. فما أن يبدأ شخص في قراءة كتاب إلكتروني، حتى تصله إشعارات بوصول رسائل نصية أو روابط لأخبار جديدة أو عاجلة، الأمر الذي يؤدي غالباً إلى تشتت ذهني ويحول دون القراءة العميقة التي تُفيد في تطوير التفكير المنظم والحس النقدي. فهل يؤدي التوسع في القراءة الإلكترونية على هذا النحو، بالتوازي مع تسارع إيقاع الحياة والركض معظم الوقت، إلى ازدياد أعداد ، والمتهافتين أو Mediocres المتوسطين أو العاديين السطحين في مختلف المجالات؟ سؤال يستحق التفكير.